

حوار في العراق حول اللغة كأداة للتعبير في عصر التكنولوجيا

نشرت جريدة التأخي في عددها الصادر بتاريخ 28 / 10 / 1970 مقالا
بمنسوان :

« اللغة كأداة للتعبير في عصر التكنولوجيا » ، والمقال يتضمن مجموعة من
الآراء في الموضوع لعدد من رجال العلم والفكر واللغة والنقد من بينهم الدكتور
السادة : عبد اللطيف البديري رئيس جامعة بغداد وداود سلمان علي وحسن
فهمي جمعة ، والاساتذة السادة : كوكيس عواد ، وجبرا ابراهيم جبرا ،
وجرجيس فتح الله مدير تحرير التأخي .

والكيمياء والرياضيات وما جرى مجراها يحاولون
الكتابة بالعربية في موضوعات اختصاصاتهم فتتقاضى
عليهم الكتابة ولا تستقيم لهم العبارة وإذا كتبوا كانت
لفتهم مختلفة لا تفي بما يرومون التعبير عنه . فما
مرد ذلك ؟

لعل اللغة العربية ضلعا في هذا النقص بسبب
افتقارها الى كثير من مصطلحات تلك العلوم . ولكن في
وسعنا القول ان كل لغات العالم الراقية تعاني مثل
هذه المشكلة . فهي مشكلة لا تقتصر على العربية دون
غيرها ، بل هي عامة تمس سائر اللغات الشرقية
والغربية على حد سواء .

وهذه اللغة الانكليزية ، وهي في طليعة اللغات
التي تحتضن ضروب التأليف في مختلف العلوم . كيف
حلت تلك المشكلة ؟

انها لجأت - في ما لجأت اليه - الى « استعارة »
كلمات لا تدخل تحت حصر من لغات أخرى لا سيما
من اليونانية واللاتينية وأدخلتها في صلب المصطلحات

وفيما يلي موجز للمقال المذكور :

إذا كان المقصود من الموضوع التعبير عن
الافكار العلمية في قالب كتابي مستساغ وباللغة العربية
فان مرد هذا الضعف هو لغوي اكثر مما هو علمي إذ
ان اكثر الاختصاصات كالطب والهندسة والتكنولوجيا
تدرس بلغة اجنبية ، فاذا ما حاول احدهم صياغة رأى
ما أو فكرة كتابة وفي اللغة العربية يعموه الكثير من
المصطلحات وهو ما لا يتوفر في معاجمنا العلمية
الحديثة في الوقت الحاضر وان توفر فهناك تباين
شاسع أو واسع بين ما يقر في بلد عربي عن بلد آخر .
وبعد كل هذا فان الكتابة هي موهبة لا يتساوى جميع
الناس في التعبير فيها . اما عن حل هذه المحنة
أو المشكلة فانه يتطلب وقتا غير قليل لتتفق المجامع
على مصطلحات موحدة تنشر بين المتخصصين في
العلوم ليمارسوا الكتابة فيها والزمن كفيل برفع
مستوى التعبير نطقا وكتابة عند هؤلاء المتخصصين .

ومن جهة أخرى فاننا نرى اليوم جماعة من ذوي
الاختصاص في العلوم ، كالطب والهندسة والفيزياء

التي تعد اليوم انكليزية بحثة . ولم تجد اللغة الانكليزية في تلك الاستعمارة غريبا ولا منقصة . بل ان ابناء تلك اللغة عدوا الاستعمارة دليلا على مرونة لغتهم وقابليتها على ان « تطعم » بما تكنه اللغات الاخرى .

فما احراانا نحن ابناء العربية ان نسلك اليوم هذا السبيل فنستعير ما لا وجود له في لغتنا ، ونلبسه صيغة عربية مقبولة فنكتسب بذلك الوفا من الالفاظ الاصطلاحية المعربة .

ولسنا نقول ان « التعمير » هو العماد الوحيد الذي يركن اليه في هذا الباب . كلا ، فان في كتب التراث العربي من الالفاظ القديمة ما يجب العودة اليه ، ونفض غبار النسيان عنه ، واحياؤه بالاستعمال . اثنا نشر في كتب التراث القديم ، على الالفاظ اصطلاحية غاية في الكثرة ، وقد تناثرت في معجمات اللغة وفي كتب العلوم المختلفة . والا فكيف تسنى لائمة العلماء القدامى كالفراحي وابن سينا وابن الهيثم والبيروني والزهراوي والخوازمي ومن جرى مجراهم في ميادين العلم ، نعم كيف تسنى لهم ان يغموا تلك التصنيفات النفيسة في بابها ويعبروا فيها من الحقائق العلمية بمباراة سليمة قوية ؟

وفي هذا ما يبعد الشبهة عن ضعف اللغة العربية مع تسليمنا بفارق الزمن وبواقع الحال التي تتجلى اليوم في اتساع العلوم العصرية وترامي اطرافها . فنقد اخذ العلم الحديث يسير بخطى سريعة جدا لا تجارى الا بالجهد المتصل والدأب المنسق .

لن يفوتنا التنويه بمزية تتحلى بها العربية ، وهي « الاشتقاق » لبيئنا نجد اللغات الغربية تعتمد كثيرا على « النحت » نجد العربية « لغة اشتقاقية » يتاح للباحث ان يستعين بهذه المزية العظيمة ويخرج منها بفوائد جمة تعود على لغة العلم باوفى الشمار .

وبعد هذا التحليل القيم من دور اللغة في التعبير في عصر التكنولوجيا وشرح الاسباب الحقيقية التي تجعل كثيرا من الاختصاصيين في الميدان العلمي كالاطباء والمهندسين قاصرين عن الكتابة في ميادين اختصاصهم بلغة سليمة نجد سؤالا هاما آخر فرض نفسه في الموضوع ذاته وهو كيف استطاع الدكتور يعقوب صروف والاستاذ احمد زكي ان ينشرا مدة كتب ومقالات في موضوعات علمية عويصة في الفلك والرياضيات والجيولوجيا والنبات والكيمياء والفيزياء بلغة سليمة يستسيغها الذوق وترضيها قواعد اللغة .

ان الجواب على ذلك يكمن في الحقائق التالية : ان الطبيب والمهندس والعالم المختص بأحد العلوم العصرية لا شك في انه قد اجتاز في اثناء دراسة مراحل دراسية : ابتدائية متوسطة ، اعدادية . لنضع دراسته العالية ونقتصر على المراحل المذكورة فلم يدرس في سنن هذه المراحل اللغة العربية صرفا ونحوا وانشاء؟ فابن ذهب تلك الدراسة ؟ وهي لو احتفظ بها ، ففي ما ارى بالغاية اللغوية التي يبتغيها العالم المختص . فلماذا نراه ، بعد ذلك يكتب بأسلوب يمتوره ضعف ؟ ولماذا يخطئ في قواعد الصرف والنحو ، وهي امور سبقت له دراستها ؟

لعل من يقول ان هذا العالم المختص بعد ان تعمق في فرعه لم يعد يتسنى له الاستثمار على العناية بلفظه لتركها وشأنها انصرافا منه لفرعه . وقد يكون هذا صحيحا . اما ان نرجع ذلك النقص الى اللغة نفسها ونرميها بما ليست فيه ، فامر فيه كثير من التجني عليها .

وبديهي ان ذوي التخصص هم عادة اناس على قسط كبير من الذكاء والاطلاع ولعلهم من العبث ان يذكرهم المرء بان اداة التعبير نفسه ان يكون موافقا ومن العبث كذلك ان يذكرهم المرء بان العناية بالناحية الادبية من الفكر الانساني لا يجوز اهمالها مهما اهتم الشخص بالتقضية العلمية نفسها . ربما كان هذا بعض السبب في ان الكثير من الجامعات تصر على ان يدرس طلاب العلوم التكنولوجيا على الاقل موضوعا ادبيا واحدا كل سنة عليهم ان ينجحوا فيه بدرجة عالية . فضلا عن الناحية الانسانية التي بهذا يتقنى العالم على صلة بها فانه يتمكن من تلك القوة التعبيرية - القوة اللفظية والاسلوبية - التي تجعله قادرا على صياغة افكاره العلمية في اشكال مستساغة . والذي اهرقه هو ان البعض من اقدر العلماء هو ايضا من اشد الناس فصاحة وقوة في التعبير - مما يجعلنا نتقول ان من كان ضئيل الحظ من الفصاحة وقوة التعبير ربما كان ايضا قليل الحظ من القدرة العلمية الحقيقية - ولو انه لا بد من رفض التعميم في مثل هذا المجال .

اما محنة التأليف والترجمة في العلوم عندنا فهي ذات شقين (او اكثر) : ١ : اولا ، محنة المؤلف النادر الذي يمشق ما يكتب او يترجم فيه بحيث يكون مستندا للتضحية بوقته وجهده من اجل الكتابة والترجمة مهما تكن نتائج النشر . ثانيا ، محنة القارئ العربي الذي ما زال بعيدا عن الاقبال على الكتب

لا يستطيع التعبير عن أفكاره العلمية في قالب كتابي مستساغ .

وأول هذه الأسباب هو ضعف تعليم اللغة العربية في الدراسة الابتدائية والثانوية وهي المرحلة التي يتعلم فيها الطالب قواعد اللغة وأساسها وحسب علمي أن وزارة التربية تتعاون في الوقت الحاضر مع مركز البحوث التربوية التابع لجامعة بغداد لوضع كتب جديدة لتعليم اللغة العربية في المدارس الابتدائية والثانوية .

والسبب الآخر هو أن تعليم هؤلاء في المرحلة الجامعية على الإغراب يكون بلغة أجنبية في العراق إذ لا زلنا نعتمد على المراجع العلمية الأجنبية ولمدم توفر هذه باللغة العربية أخذنا بطريقة التدريس بلغة أجنبية .

والسبب الثالث هو أن لغة البيت ولغة الشارع تختلف كثيرا عن اللغة الفصحى ولوجرت محاولة لتقريب اللغة العامية من اللغة الفصحى وعدم استعمال الكلمات العربية ونشر الفصحى عن طريق الإذاعة والتلفزة فبعد مرور وقت طال وقصر سنجد أن اللغة العامية تتقرب من الفصحى .

وهناك سبب رابع وهو عدم تشجيع التأليف باللغة العربية في المجالات العلمية ويجب أن يكون هذا من الشروط المطلوبة في الترقيات العلمية التي تتطلبها الجامعات من أعضاء الهيئة التدريسية .

العلمية رغم دخول العصر التكنولوجي . كيف نعالج هاتين المحتنتين ؟ لا بد من العودة بذلك إلى الجامعة وما تيسره من فرص للتأليف وما تخلقه من حب حقيقي للملم في نفوس الطلاب . القضية تربوية ، وحضارية معا . ونحتاج إلى دراسة كثيرة الشعب لا تجدي معها إشارة سريعة . في عجالة كهذه .

ولا ننكر أن الصعوبة التي يحسها المختصون في الملم هي صعوبة حقيقية لا ينفعنا مطلقا محاولة التقليل من شأنها . وقد اتفحت لي أنا شخصا يقول الأستاذ جرجيس فتح الله - هذه الصعوبة عندما قمت بنقل كتاب - تراث الإسلام - المعروف إلى العربية قبل ستة عشر عاما ، وبمدها أخذت أكتب وأترجم إلى العربية بعض الكتب والبحوث الخاصة بنظرية الموسيقى العربية وقرائها . فقد أدركت من الوهلة الأولى سبب وقوف - لجنة النشر للجامعيين - المصرية التي تالفت في العام 1935 لنقل الكتاب الأول إلى العربية فاخفقت في منتصف الطريق ، أي عندما اصطدمت بآبواب الطب والرياضيات والهندسة والقانون والتعريف الخ ...

وزيادة في الإيضاح يجدر بنا أن نشير إلى أن هناك أسبابا كثيرة تجعل من حملة الشهادات العالية المتخصصين في الملم كالأطباء والمهندسين والتكنولوجيين في وضع لا يستطيعون فيه الكتابة في اختصاصاتهم بلغة سليمة بل حتى أن البعض منهم